الترميز الدولي / ISSN (P) :2710-2653
ISSN (E) :2960-253X /
رقم الايداع الوطني / 2375 /2019

تاريخ استلام البحث : ٢٠٢٥/١٢/١٥
تاريخ قبول البحث : ٢٠٢٦/١/٢٨
تاريخ النشر : ٢٠٢٦/٣/٣٠

الحرب الاستباقية في العقيدة الإسرائيلية: الجذور النظرية والتطبيقات العملية

Preemptive War in Israeli Doctrine: Theoretical Roots and practical Applications

م.م. عمر سلمان جاسم
Omar salman jasim
جامعة النهرين/ كلية العلوم السياسية
Omar.salman@nahrainuniv.edu.iq

IRAQI
Academic Scientific Journals
https://iasj.rdd.eedu.iq/journals/journal/view/229

الملخص:

يتناول هذا البحث التطور التاريخي والفكري للحرب الاستباقية في العقيدة العسكرية الإسرائيلية، من حيث جذورها النظرية ومرتكزاتها الفكرية، والتطبيقات العملية منذ حرب حزيران سنة ١٩٦٧ حتى المواجهات الحديثة مع الفواعل من غير الدول وإيران. أذ يُحلل هذا البحث التحولات العميقة التي أصابت قدرة (إسرائيل) على المبادأة نتيجة تبدّل طبيعة التهديدات، وتراجع فعالية الردع التقليدي، وصعود أنماط القتال غير النظامي، ويخلص البحث إلى أن الحرب الاستباقية، رغم كونها ركناً مركزياً في العقيدة (الإسرائيلية)، لم تعد أداة حاسمة كما كانت، وأن البيئة الاستراتيجية الراهنة تفرض انتقالاً تدريجياً نحو نموذج الردع المتبادل الذي يقيد حرية العمل (الإسرائيلية) بدرجة غير مسبوقة.

الكلمات المفتاحية: الحرب الاستباقية–الحرب الوقائية–العقيدة العسكرية الإسرائيلية–الضربة الأولى–الردع الديناميكي والردع المتبادل.

Abstract:

This research deals with the historical and intellectual development of preemptive war in Israeli military doctrine, in terms of its theoretical roots, intellectual foundations, and practical applications since the June 1967 war until the modern confrontations with non-state actors and Iran. The research analyzes the profound transformations that have affected Israel's ability to initiate as a result of the changing nature of threats, the decline in the effectiveness of conventional deterrence, and the rise of irregular combat patterns. The study concludes that pre-emptive war, despite being a central pillar of Israeli doctrine, is no longer a decisive tool as it was, and that the current strategic environment imposes a gradual transition towards a model of mutual deterrence that restricts Israeli freedom of action to an unprecedented degree.

Keywords: preemptive war - preventive war - Israeli military doctrine - first strike - dynamic deterrence and mutual deterrence.

مقدمة:

تعد الحرب الاستباقية أحد أكثر المفاهيم رسوخاً في العقيدة الأمنية (الإسرائيلية) منذ تأسيس الكيان سنة ١٩٤٨م، إذ اعتمدت (إسرائيل) على مبدأ المبادأة العسكرية بوصفها وسيلة لتعويض غياب العمق الجغرافي وافتقار الكيان إلى بيئة آمنة، وقد تبلور هذا المفهوم في الفكر الصهيوني المبكر، وتطور عبر المدارس العسكرية الغربية، وأصبح منذ حرب حزيران ١٩٦٧م، ركيزة أساسية لبناء استراتيجية الردع والسيطرة الإقليمية.

غير أن العقيدة الاستباقية واجهت تحديات جوهرية مع صعود الفواعل من غير الدول، وانتقال ميزان القوة من الحسم الجوي إلى الصراع الشبكي متعدد المجالات، مما جعل قدرة (إسرائيل) على شنّ ضربة أولى فعّالة أكثر تعقيداً وأقل ضماناً.

وينطلق هذا البحث من تحليل الأسس النظرية لهذه العقيدة، ودراسة تطبيقاتها التاريخية، وتفكيك أسباب تراجع فعاليتها في البيئة الإقليمية المعاصرة، بما يسهم في فهم مستقبل الأمن (الإسرائيلي) وتحولاته.

أهمية البحث:

تتجلى أهمية هذا البحث في كونه يقدم تحليلاً معمقاً لتطور الحرب الاستباقية في العقيدة (الإسرائيلية)، ويكشف التحولات الجذرية التي أصابتها بعد صعود الفواعل من غير الدول وتغير موازين القوة في المنطقة. كما يفسر البحث تراجع نموذج الضربة الأولى، ويبرز صعود الردع المتبادل، من خلال دراسة تطبيقية لعمليتي "طوفان الأقصى" و"حرب ١٢ يوماً مع إيران". وتُسهم هذه الدراسة في فهم سلوك (إسرائيل) الأمني، وتوضيح انعكاساته على الأمن القومي العربي، وعلى مستقبل الصراع في الشرق الأوسط.

إشكالية البحث:

تتمثل الإشكالية الرئيسية للبحث في التساؤل الاتي: كيف أسهمت التحولات الاستراتيجية والتكنولوجية وصعود الفواعل من غير الدول في اضعاف فعالية الحرب الاستباقية في العقيدة العسكرية الإسرائيلية وتحويلها من أداة حسم إلى خيار محدود الجدوى؟

فرضية البحث: ينطلق البحث من فرضية مفادها إن الحرب الاستباقية في العقيدة العسكرية (الإسرائيلية) فقدت كثيراً من قدرتها على التأثر نتيجة انتقال ميزان القوة من التفوق الجوي والاستخباري لصالح (إسرائيل) إلى بيئة صراع غير متماثلة تمتلك فيها الفصائل والخصوم الاقليميون قدرة عالية على الردع والضرب المعاكس.

منهجية البحث: يعتمد البحث على المنهج التحليلي والمنهج التاريخي ومنهج التحليل النظمي من خلال تتبع الجذور الفكرية والنظرية للعقيدة الاستباقية وتحليل الاحداث العسكرية ذات الطبيعة الاستباقية من نكبة حزيران سنة ١٩٦٧م، وصولاً الى حرب ال١٢ يوماً مع الجمهورية الإسلامية الإيرانية ومقارنة قدرة (إسرائيل) على المبادأة بين الماضي والواقع المعاصر.

حدود البحث:

- الحدود الزمنية: ١٩٤٨ اعلان تأسيس الكيان الصهيوني إلى نيسان ٢٠٢٤ حرب ال١٢ يوماً.
- الحدود المكانية: (إسرائيل) –فلسطين–مصر –لبنان–سوريا–إيران.

المبحث الأول

الإطار النظري والمفاهيمي

يُعد فهم مفهوم الحرب الاستباقية أمراً ضرورياً لفهم السلوك الأمني (الإسرائيلي) فقد تباينت الأدبيات بين تعريف الحرب الاستباقية كضربة تُوجَّه ضد تهديد وشيك وبين الحرب الوقائية التي تستهدف تهديداً مستقبلياً، وبناءً على ذلك سيتم تقسيم هذا المبحث الى محورين أساسيين الأول لدراسة مفهوم الحرب الاستباقية والثاني لبيان مفهوم الحرب الوقائية وتوضيح الفرق بينهما.

أولاً–ماهية الحرب الاستباقية:

يعني مصطلح الاستباق (Pre–emptive) على الصعيد العسكري التدمير الفعال لأسلحة العدو قبل أن يتمكن من استخدامها أو " Effectively destroying the enemy's weapons before he can make use of them" كما يتضمن الإشارة إلى تكتيك عسكري خلال الحرب يقلل من قدرة العدو على القتال (خليفة ٢٠١٨، ١٦٤)، كما تُشير الحرب الاستباقية إلى الحالات التي يستخدم فيها أحد الأطراف القوة للقضاء على أي إمكانية لهجوم مستقبلي من قبل دولة أخرى، وذلك حتى لا يكون هناك من سبب للاعتقاد بأن ثمة هجوم مخطط، وحين لا يكون هجوم سابق قد حدث، وتعتمد الحرب الاستباقية على توجيه ضربة عسكرية مؤثرة إلى مناطق حشود الخصم بهدف شل حركته؛ أو البدء بالحرب، في توقيت لا يكون العدو فيه مستعداً تماماً للحرب؛ أو مفاجأة الخصم، بهدف إحباط نواياه في اتخاذ أي تدابير أو إجراءات، من الممكن أن تضر بمصالح الدولة أو سياستها، ولا بد لهذه الضربة من أن تُعزز بكل عوامل القوة الممكنة لكي تستطيع تحقيق أهدافها، وإنجاز مهامها، في أقصر وقت ممكن؛ والحرص على استمراريتها، والتي تحول دون تمكن الخصم من استعادة توازنه، والمبادرة إلى الهجوم المضاد أو اتخاذ إجراءات يكون من شأنها أن تُجهض الضربة الاستباقية (Shah ٢٧،٢٠٠٧).

ويعرف البعض الحرب الاستباقية بأنها: توجيه ضربة قاضية لقوات العدو الضاربة في قواعدها ومعسكراتها للحيلولة دون تحولها إلى خطر هجومي يهدد سلامة القوات التي عليها أن تأخذ زمام المبادرة لتكون البادئة بتسديد الضربة (كاطو، ٢٠١٧، صفحة ٤٣)، ويعرفها بعض المفكرين الأمريكيين بأنها أي الضربة الاستباقية: ذلك النوع من النشاط العسكري الهادف إلى تحديد وتحجيم أو تدمير أسلحة الدمار

الشامل التي يمتلكها الآخرون قبل أن يقدروا على استخدامها. وهم يعطون ذلك أحد مسميين: "إما الدفاع الوقائي، أو الردع الممتد" للايحاء بمشروعيتها (سويلم ٢٠٠٢، ٢٩٣) أما الرئيس الأسبق للولايات المتحدة الامريكية (جورج بوش الابن) فكان رأيه أنها تعني: نقل المعركة إلى أرض العدو، وزعزعة خططه، ومواجهة أسوأ التهديدات قبل أن تنتظم، هذا الفهم الأمريكي للحرب الاستباقية يعتمد على نوايا مبُيتة ترى الولايات المتحدة الأمريكية أنها عدائية حتى مع عدم وجود أدلة مؤكدة وكافية على ذلك، حيث يستخدم الإدراك الأمريكي وحده لنوايا الطرف الاخر على أنها عدائية كمبرر وذريعة كافية للقيام بضربة استباقية تستهدف إجهاض إمكانيات وقدرات الخصم. وبالطبع فإن المفهوم الأمريكي للاستباق يوسع كثيراً من نطاق الدفاع الوقائي، فهنا ليس التهديد الوشيك هو المعيار بل التهديد الكامل، مما يثير تساؤلاً مهماً حول الفارق بين الاستباق والعدوان (سويلم ٢٠٠٢، ٢٩٠-٢٩٩).

إن الضربة الاستباقية وكما أشار لها "تعوم تشومسكي" هي الظن بأن هجوماً أوشك أن يقع أو في طريقه إلينا، وهنا تقع المبادرة في الهجوم على العدو الذي يعد العدة لهجوم وشيك لا مفر منه، خاصة عندما تكون قواته موضوعة في أوضاع هجومية استعداداً لهجوم فعلي، لذلك تُقرر الدولة المعنية مباغتة الخصم بالهجوم عليه لتحديد قدراته العسكرية وربما تدميرها بالكامل (تشيومسكي ٢٠٠٤، ٣٦-٣٩). وكذلك إن الضربة الاستباقية تعني اتخاذ موقف عسكري بما يجيزه ويسمح به القانون الدولي تجاه الدولة التي هي على وشك شن الهجوم، وذلك للقضاء على المخاطر الواضحة والراهنة. وبالتالي توجه الضربة الاستباقية ضد قوات الخصم التي تم نشرها فعلياً في أوضاع هجومية استعداداً لهجوم فعلي مرتقب، أي استباق الخصم بتوجيه ضربة إجهاضية ضد قوات العدو لصد هجوماً متوقعاً، وأيضاً تعرف الضربات الاستباقية هي التي توجه ضد قوات الخصم التي نشرت فعلياً في أوضاع هجومية استعداداً لهجوم فعلي، لذلك يجري استباق العدو بتوجيه ضربة ضد هذه القوات لصد هجومها المتوقع ويستند مصطلح الضربة الاستباقية حسب الفقه إلى وجود بعض الأدلة المادية التي تبرز خطراً هائلاً وتفترض التصرف أو التدخل المسبق وهناك من قال إن الضربة الاستباقية هي مبادرة عملياتية تتخذ ضد الحشود العدائية وتستهدف احتلال مواقع ذات شأن أمني حيوي عند العدو قبل أن يبدأ هجومه المفترض، بل واحتلال أراضي حيوية داخل أراضي العدو(خليفة ٢٠١٨، ١٦٩).

وبتعبير آخر فهي تحقيق مسبق في العمل الذي يعتمد على السرعة في التنفيذ عندما يكون الطرفان على أهبة الاستعداد لإطلاق الضربة، بشرط أن يسبق أحدهما الآخر في الضربة أو الهجوم لإتقاء ما ينوي الطرف الآخر الإقدام عليه من خلال القضاء على قدراته لتنفيذ ذلك العمل.

ثانيًا: الفرق بين الحرب الوقائية والحرب الاستباقية.

إن النقاش الواسع الدائر بين الحرب الوقائية والحرب الاستباقية، أثاره العديد من رجال الاستراتيجية والفكر العسكري الأمريكي، لإزالة اللبس والغموض عما تقوم به الولايات المتحدة من تدخلات عسكرية منذ بداية نشأتها. فعلى الرغم من اشتراك هذين النوعين من استخدام القوة العسكرية، في صفة المبادأة بالضربة الأولى، وكذا المظهر الاستراتيجي النووي على الأساس الهجومي البحت، إلا أن كل مفهوم له محدداته وخصائصه التي تميزه عن الآخر.

لنفترض على سبيل التوضيح وجود دولتين الدولة (أ) والدولة (ب) تربطهما علاقات عدائية، وقامت الدولة (ب) باستلام معلومات تفيد بأن الدولة العدو (أ) تقوم بالتحضير لشن ضربة عسكرية ضدها. في هذه الحالة، إذا ما تحركت الدولة (ب) للتأكد من أن الدولة (أ) لا تستطيع مهاجمتها كما هو مخطط، فإنها تكون قد قامت بالهجوم الاستباقي فأن الحرب الاستباقية تحدث في اللحظة التي يقرر فيها العدو الهجوم، أو يتم الإدراك بأنه على وشك الهجوم أو في حالة وقوع الهجوم فعلاً، ولنتخيل أن مقدرات الدولة (ب) تنمو مقارنة مع مقدرات الدولة (أ)، وتكون الدولة (ب) في حالة أضعف من الدولة (أ)، غير أن تباين القوة بينهما يتضاءل. في هذه الحالة، إذا تحركت الدولة (أ) عسكرياً، لمنع الدولة (ب) من المواصلة في زيادة قوتها النسبية، فإنها تكون "وفق اللغة الإستراتيجية" قد شنت حرباً وقائية تهدف إلى إحباط التهديد المحتمل في المستقبل فثمة فروقاً واضحة وأساسية بين كل منهما، وإن تشابهتا في اعتمادهما على مبدأ ما يسمى بالقدرة الحركية وإتباعهما لأساليب الحرب الخاطفة (امام 2008) ، فالحرب الوقائية تهدف إلى القضاء على تهديد عسكري بعيد المدى، وغير محقق فعلاً أو وشيك الوقوع. بينما تحدث الحرب الاستباقية عندما يتبين أن هجوماً مسلحاً من قبل دولة معينة على نحو وشيك، فالدولة في هذه الحالة، ليست بحاجة إلى انتظار وقوع الهجوم، قبل أن تبادر بالرد مستخدمة القوة، وقد أوضحت وزارة الحرب الأمريكية الفرق بين الحربين الوقائية والاستباقية في قاموس الوزارة للمصطلحات العسكرية، نظراً لخبرة الولايات المتحدة في الحروب والتدخلات العسكرية منذ القرن التاسع عشر، حيث ورد تعريف الحرب الاستباقية على أساس أنها هجوم يتم على أساس وجود دليل قاطع بأن هجوم العدو بات وشيك الوقوع، بينما تُعَرَّف الحرب الوقائية على أنها تتم مباشرتها على اعتقاد أن الصراع العسكري وإن لم يكن وشيك الوقوع، إلا أنه محتوم، ويكون لتأجيله أخطار كبرى (امام ٢٠٠٨، ٢٣)

كما أشار أستاذ العلوم السياسية في معهد ماساتشوستس (Stephen W. Van Evera) في كتابه (أسباب الحرب Causes of war) إلى أنه في كل من الحربين الاستباقية والوقائية، يقوم المبادر "الدولة" بتوجيه الضربة، كونه يعتقد أن شن الحرب في الوقت الحالي أفضل من تأجيلها إلى وقت لاحق، إلا أن الأسباب تختلف. فالضربة الاستباقية، تسبق لإحباط ضربة من الطرف الآخر، بينما تهدف الضربة

الوقائية إلى منع التغير في ميزان القوى، فالمبادر يرى قوته تتدهور، وبالتالي يبادر بالضربة الأولى لتجنب خوض حرب في وقت لاحق في ظل ظروف أسوأ وغير مناسبة (خليفة ٢٠١٨، ١٧٥).

إذا كانت الحرب الوقائية تستند إلى فكرة تدمير قوة العدو بواسطة الضربة النووية الأولى، دون اشتراط أن يكون هذا الهجوم مُستحقا باستفزاز من جانب الخصم، فإن الحرب الاستباقية تحاول أن تجد لها أساساً أخلاقياً، تبني عليه تبريرها لفكرة الحرب الهجومية، وهو أن الحرب الهجومية تصبح جاهزة ومبررة في الحالات التي يثبت فيها أن الخصم على وشك أن يشن هجومًا نوويًا، وفي هذه الحالة، تُعبأ كل مقدرات القوة النووية للدولة لكي تستخدم على وجه السرعة في إحباط هذا الهجوم الوشيك (مقلد ١٩٧٩، ١٢٦)

ويضع بعض المفكرين والمهتمين في هذا المجال معاييرًا للتمييز بين الحرب الاستباقية والحرب الوقائية:

١. قرب وقوع الهجوم: أي أن يكون الهجوم وشيكًا، ويتبين ذلك من خلال دلائل مادية كتجهيز الجيوش، أو حصول رجال الاستخبارات على معلومات كافية تثبت استعداد الخصم للهجوم.
٢. اليقين: في إثبات قوة ومقدرة الخصم على الإضرار بالطرف المبادر.
٣. الهدف من الهجوم المعاكس: يكون هدف المبادِر هو ردع الخصم بدافع الحماية.
٤. معيار التوقيت: ففي الحرب الاستباقية، يكون عامل الوقت قصيرًا جدًا في التحضير لخوض هذه الحرب، حيث أن التحضير يبدأ بعد أن يكون قد تأكد أن الخصم في طريقه إلى الانتهاء من تجهيز قوته استعدادًا للحرب. أما الحرب الوقائية، فإنها لا تتم بمثل هذه السرعة الخاطفة، وإنما يتم شنها تحت الظروف وفي الوقت الذي يعتقد أنه يوفر أفضل الفرص للمبادأة بهذه الحرب (خليفة ٢٠١٨، ١٧٦).

وفي اعتقادنا فأن الكيان الصهيوني يخلط بين الاثنين عملياً "الآخذ بالتطور" تهديداً وشيكاً فهي تتعامل مع التهديدات على أساس ان أي نمو في قدرات الخصوم يعد تهديداً وجودياً والزمن هو عامل الحسم أي أن أي تأخير قد يؤدي الى فشل عسكري كارثي على (إسرائيل) لذلك حتى لو لم يكن التهديد وشيكا وهو شرط الحرب الاستباقية فان الكيان الصهيوني يتعامل مع هكذا نمو على انه سبب كاف للقيام بضربة عسكرية وقائية؛ وهذا ما يجعل الفاصل بين الحربين ضبابياً في خطابها الأمني كما يتم استخدام المصطلحين بشكل متعمد لصالح تسويق خطابها خارجياً، كما ان العقيدة الهجومية كأساس للأمن (الإسرائيلي) منذ الإباء المؤسسين والذي سنتولى دراسته في المبحث الثاني يدفع (إسرائيل) إلى التعامل مع الوقاية كجزء طبيعي من بنيتها الدفاعية وليس كعمل عدواني منفصل مما يطمس الحد الفاصل بين المفهومين كما اشرنا.

المبحث الثاني

الأسس النظرية والفكرية للحرب الاستباقية في العقيدة العسكرية الإسرائيلية

تستند الحرب الاستباقية في العقيدة العسكرية (الإسرائيلية) إلى بنية فكرية معقدة، لكنها تجتمع في محورين رئيسيين يشكلان الإطار النظري الذي قامت عليه هذه العقيدة منذ تأسيس الكيان الصهيوني وحتى اليوم هذان المحوران هما: العقيدة الأمنية الصهيونية المبكرة والنظرية العسكرية – الاستراتيجية الحديثة وسنتطرق لكلاهما في محورين أساسيين:

أولاً: الأسس الفكرية للحرب الاستباقية في العقيدة العسكرية الإسرائيلية

يمثّل هذا الأساس الإطار التصوري الذي أسّس لفكرة المبادرة العسكرية المبكرة داخل الفكر الصهيوني ويتضمن هذا الأساس مجموعة من المرتكزات الرئيسية والتي سنتطرق لها في هذا المحور.

١. الهاجس الوجودي وفكرة الدولة المحاصرة

شكّل مفهوم (حق إسرائيل) في البقاء إحدى أهم ركائز الوعي السياسي (الإسرائيلي) منذ تأسيس الكيان عام ١٩٤٨، نتيجة قيامه على أرض شعب آخر وبفعل سياسات التهجير والقوة، مما خلق شعوراً دائماً بالهشاشة والافتقار إلى الشرعية. وقد سعت الحكومات (الإسرائيلية) المتعاقبة إلى تثبيت هذا الوجود عبر اتفاقيات سياسية كان شرطها الأساسي الاعتراف (بإسرائيل) (كريشان ٢٠١٧، ٥٥)

وتستند السردية (الإسرائيلية) إلى إرث تاريخي قديم كحكاية "مملكة داود وسليمان" وإلى تصور أن الدولة الحالية هي "الدولة اليهودية الثالثة" المهددة بالزوال. كما أسهمت أحداث الهولوكوست في ترسيخ عقدة الاضطهاد والتهديد، مما انعكس على سلوك (إسرائيلي) يتسم بالحذر والعدوانية في السياسة والأمن والعلاقات، ويتجلى هذا القلق الوجودي بوضوح داخل المجتمع (الإسرائيلي)، خاصة لدى من يعيشون في فلسطين المحتلة، حيث يشعرون بأنهم محاطون بأخطار مستمرة، وأن دولتهم تفتقر إلى الاستقرار طويل الأمد. ويعزز هذا الشعور تاريخ حافل بالحروب، خمس حروب مع الدول العربية، وجولات مع المقاومة في لبنان، وثلاث حروب في غزة، إلى جانب الانتفاضات الفلسطينية، كما تشير الدراسات (الإسرائيلية) إلى إدراك متزايد داخل المجتمع (الإسرائيلي)، بأن الصراعات المستمرة وغياب حلول سياسية حقيقية، إضافة إلى تراجع معادلة الردع، كلها عوامل تعمّق الشعور الوجودي بالخطر لدى الجمهور (الإسرائيلي)، وتجعله يعيش في حالة يقظة دائمة وتخوف من المستقبل، يُضاف الى ذلك المساحة الجغرافية الضيقة جداً (لإسرائيل) والتفوق العددي العربي مُقابل محدودية السكان اليهود في (إسرائيل) ووجود حالة عداء تاريخي بين (إسرائيل) ومحيطها العربي كل هذه الأسباب دفعت قادة (إسرائيل) إلى الايمان بفكرة الضربة

الاستباقية وقد عبر (بن غوريون) عن ذلك بقوله "أمن إسرائيل لا يتحقق الا بضربة أولى" (احمد ٢٠١٩، ٢٥)

٢. مركزية الردع والصدمة والضربة الأولى.

بُنيت العقيدة العسكرية (الإسرائيلية) على ركائز مهمة هي الردع، الإنذار المبكر والانتصار الحاسم ولاحقاً تم إضافة ركيزة رابعة هي الدفاع الشامل، ويعد مبدأ الردع حجر الأساس في العقيدة الأمنية (الإسرائيلية)، حيث تقوم (إسرائيل) على تكوين صورة ذهنية لدى خصومها بأن أي هجوم سيُواجه برد قاسٍ وغير متناسب، وقد تطور هذا المبدأ في السنوات الأخيرة ليشمل قدرات سيبرانية، واستخدام الذكاء الاصطناعي، والطائرات المسيّرة، بما يعزز سيطرة (إسرائيل) الأمنية والنفسية على بيئتها الإقليمية (زحالقة ٢٠٢٤، ٩٣).

ومن منظور فلسفي، يقوم الردع على بعدٍ استباقي قريب مما طرحه (ميشيل فوكو) حول السلطة الانضباطية، التي تُمارس تأثيرها عبر تشكيل سلوك الخصم ودفعه إلى توقع عقاب محتمل قبل الإقدام على أي فعل معادٍ. وهنا تتحول القوة من مجرد قدرة مادية إلى أداة لإعادة صياغة وعي الخصم وصنع منطق الطاعة. ويمكن الاستدلال أيضاً برؤية (فريدريك نيتشه) للعقاب بوصفه آلية لتكوين ذاكرة جماعية تربط الأفعال بنتائجها، وهو ما تستثمره (إسرائيل) في ترسيخ الردع باعتباره أداة لضبط السلوك وتقييد النوايا، لكن هذا البناء الفلسفي للردع (الإسرائيلي) يقوم على افتراض أساسي يتمثل في أن العدو يتصرف بمنطق عقلاني مصلحي مشابه للمنطق (الإسرائيلي)، أي وفق حسابات الربح والخسارة. غير أن هذا الافتراض لا ينطبق على الفواعل من غير الدول مثل حركة المقاومة الإسلامية "حماس"، التي تمزج بين الدافع العقلاني والمعتقد الديني، مما يجعل الاستعداد للتضحية والشهادة جزءاً من بنيتها العقائدية. ونتيجة لذلك يصبح الردع التقليدي، القائم على التهديد بالعقوبة والخسارة المادية، محدود الفعالية وربما غير قادر على منع هذه المنظمات من تبني خيارات تصعيدية، وهو ما لم تستوعبه (إسرائيل) بالشكل الكافي، والى جانب مبدأ الردع في العقيدة الأمنية (الإسرائيلية)، هناك مبدأ الإنذار المبكر، بل يتجادل معه. فالإنذار المبكر لا يقتصر على رصد مؤشرات الهجوم، بل يشمل القدرة على فهم نوايا العدو وخياراته الأيديولوجية العميقة. الاعتماد المفرط على الردع خلق لدى (إسرائيل)، إحساساً زائفاً بالسيطرة، وأضعف قدرتها على تقدير دوافع خصومها، ما أدى إلى تآكل الحسّ الاستراتيجي وفشل متكرر في الاستشعار المبكر، وعلى الرغم من أن (إسرائيل) أنشأت بعد حرب أكتوبر عام ١٩٧٣م، وحدة "محامي الشيطان"، لفحص الفرضيات السائدة وتقديم سيناريوهات معاكسة، إلا أن عملها أصبح شكلياً، ولا يُؤخذ بجدية. وقد تبيّن لاحقاً أنها أصدرت تحذيرات مباشرة قبل هجوم ٧ أكتوبر ٢٠٢٣، لكن القيادات تجاهلتها (حباس، ٢٠٢٥، صفحة ٢) وتُظهر التجارب مع حزب الله وحماس أن (إسرائيل) بنت ما يسمى معادلة الردع، وافترضت

إمكانية إدارة الصراع بمنطق عقلاني حسابي، وكأن خصومها يفكرون بالمنطق نفسه. هذه الفرضية انهارت مع هجوم ٧ أكتوبر، الذي كشف محدودية الردع الكلاسيكي أمام أطراف ذات عقيدة جهادية ونتيجة لذلك، برزت دعوات (إسرائيلية) للانتقال من سياسة الردع إلى منطق الحسم، أي القضاء الكامل على العدو، في تحول يعكس أزمة في فهم طبيعة الخصم ودوافعه غير المحكومة بالمعايير الغربية التقليدية.

٣. تأثير الإرث الفكري اليهودي والغربي المؤسس للمبادرة.

تعد المبادرة واحدة من أكثر المفاهيم رسوخاً في البناء العقائدي الصهيوني منذ بدايات التنظيمات العسكرية قبل قيام دولة (إسرائيل). فقبل أن تتشكل المؤسسة الأمنية (الإسرائيلية) الحديثة، اذ كانت حركتا "الهاغناه و البلماخ" بمثابة الركيزة الأولى التي بلورت عقلية أمنية هجومية ترى أن التحرك المبكر ليس مجرد تكتيك، بل شرط أساسي للبقاء فقد تبلورت في الوعي الصهيوني معادلة شديدة التأثير والخطورة وهي أن الحرب ليست كارثة يجب تجنبها، بل هي فرصة لتصفية الخطر والانتظار يمنح الخصم زمناً للتعاظم وعليه فالمبادرة هي الطريق الوحيد لمنع تهديدات مستقبلية قبل أن تتشكل، هذا الإدراك كان نتاجاً لظروف واقعية عاصرتها التنظيمات اليهودية قبل عام ١٩٤٨، في ظل صراع ديموغرافي وسياسي وعسكري على فلسطين، وشعور دائم بأن التهديد العربي يجب كسره قبل أن يتبلور، وقد تبلورت المبادرة كقيمة وجودية في كتابات قادة صهاينة كبار مثل بن غوريون، بيغال ألون، وغولدا مائير أن المبادرة ليست مجرد قرار عسكري، بل هي عقيدة وجودية فبالنسبة لبن غوريون أكد أن: "الأمن يتحقق حين نمتلك القدرة على الضربة الأولى، لا حين ننتظر هجوم الآخرين." ويرى بيغال ألون وهو أحد أهم القادة العسكريين، أن المبادرة تُشكّل "عمقاً استراتيجياً بديلاً" (لإسرائيل)، في ظل غياب العمق الجغرافي، وتذهب غولدا مائير إلى أبعد من ذلك، معتبرة أن: "المبادرة تعبير عن مسؤولية تاريخية للبقاء"، هذا المنطق السلوكي بقي ملازماً (لإسرائيل) حتى اليوم، حيث تُفضّل القيادات الإسرائيلية الهجوم المسبق على مجرد الانتظار أو الرد لاحقاً، معتبرة أن الاستباق يختصر الزمن ويمنع المفاجآت (نجم ٢٠٢٥، ٤١-٥٠)

وقد كان للفكر الحربي الغربي الأثر العميق في العقيدة (الإسرائيلية) فلم تتطور العقيدة الأمنية (الإسرائيلية) بمعزل عن الفكر العسكري العالمي. فقد استلهمت المؤسسة العسكرية (الإسرائيلية) أبرز نظريات النظام العسكري الأوروبي في القرن التاسع عشر والقرن العشرين وخاصة أفكار كلاوز فيتز وليدل هارت فقد شكّلا الإطارين النظريين الأكثر تأثيراً في فهم (إسرائيل) للحرب، خصوصاً في مجالات المبادرة، الحسم، المفاجأة، والضربة الاستباقية (احمد م.، ٢٠٢٢، صفحة ١) فقد اعتمدت (إسرائيل) منذ البداية فكرة كلوزفيتز المركزية وهي ان "الحرب أداة سياسية بشكل أساسي." وهذا يعني أن (إسرائيل) لا

تنظر للحرب بوصفها رد فعل، بل وسيلة سياسية لبناء واقع جديد لذلك كثير من حروب (إسرائيل) لا تأتي كردّ فعل مباشر، بل كقرار سياسي لتحقيق مكاسب استراتيجية بعيدة المدى كما تؤمن العقيدة العسكرية (الإسرائيلية)، بفكرة أن المفاجأة قادرة على حسم الحرب قبل أن تبدأ، وتنص الفكرة الكلاوزفيتزية أيضاً ان صح التعبير على أن الضربة الأولى، إن نجحت تُعيد تشكيل ميزان القوى بالكامل، كما ان الهدف (الإسرائيلي) الدائم هو شلّ بنية الخصم العسكرية قبل أن يتمكن من الرد ولهذا تم تطوير تفوق جوي حاسم، استخبارات دقيقة، قدرة على المناورة السريعة ووحدات خاصة تنفذ عمليات نوعية عميقة (عودة الله ٢٠١٠، ٢٥).

وقد كان لأفكار ليدل هارت تأثير كبير ايضاً فمبدأ "الاقتراب غير المباشر" اعتمدت عليه (إسرائيل) كثيراً والذي يرى أن أفضل هجوم هو الذي لا يأتي مباشرة من المكان المتوقع مثل الالتفاف البري السريع خلال نكبة حزيران ١٩٦٧، واستخدام قوات محمولة جواً لتنفيذ عمليات خلف الخطوط أو ضرب مواقع قيادية في العمق قبل الاشتباك مع القوات الأمامية كما أن شل إرادة الخصم قبل تحطيم قدراته اخذ حيزاً واسعاً فليدل هارت يرى أن الحرب الحقيقية هي على إرادة العدو، وليس على جيشه فقط وقد وظفت (إسرائيل) هذا المبدأ عبر عمليات اغتيال قادة المقاومة، ضرب المراكز القيادية، الحرب النفسية والإعلامية وسياسات الردع عبر العقاب الشديد والهدف من هذا هو خلق صورة ذهنية لدى العدو بأن المواجهة خاسرة قبل أن تبدأ (عودة الله ٢٠١٠، ٣٦)

ثانياً: الأساس النظري–العسكري لمبدأ الاستباق في العقيدة العسكرية (الإسرائيلية).

من بين اهم الأطر النظرية التي أسهمت في بناء العقيدة العسكرية (الإسرائيلية). هي نظرية الفوائد العالية من الضربة الأولى لـ (فان افيرا) ونظرية الامن الهجومي لـ(ميرشايمر) ونظرية الردع الديناميكي لمجموعة منظرين إسرائيليين هذه النظريات الثلاثة تمثل الاطار الاستراتيجي الذي ترتكز عليه (إسرائيل) لتبرير حروبها الوقائية والاستباقية ولتفسير سلوكها العدواني تجاه محيطها الإقليمي.

حيث يرى ستيفن فان إيفيرا (Steven Van Evera) أن الدول التي تمتلك مزيجاً من ثلاثة عناصر مركزية تصبح أكثر ميلاً إلى شنّ حروب استباقية وهي مستوى عالٍ من القلق الأمني فكلما شعرت الدولة بأن وجودها مهدد، كلما مالت إلى الهجوم بدل الانتظار وتنطبق هذه الحالة على (إسرائيل) التي تقوم على سردية "الخطر الوجودي" منذ تأسيسها في بيئة إقليمية معادية كما اسلفنا في المبحث الأول والعنصر الثاني هو قدرة كبيرة على الضربة الأولى فالدولة التي تمتلك تفوقاً عسكرياً خصوصاً التفوق الجوي والاستخباري تدرك أن بإمكانها تدمير قدرات العدو قبل أن يستخدمها و(إسرائيل) تمتلك تفوقًا جويًا، قدرة استخبارية عالية، وحدات عمليات خاصة عابرة للحدود، ومنظومات قادرة على إصابة أهداف دقيقة

عميقاً داخل أراضي الخصم، والعنصر الثالث هو جغرافيا ضيقة وحساسة فكلما ضاق العمق الجغرافي للدولة، كلما ارتفع ميلها لضرب العدو أولاً و(إسرائيل) ذات مساحة محدودة، مما يجعل أي هجوم مفاجئ تهديدًا وجودياً فعلياً وبالنتيجة: انطباق النموذج بالكامل على (إسرائيل) وعناصر Van Evera الثلاثة متحققة في الحالة (الإسرائيلية) بنسبة كاملة، ما يجعل الحرب الاستباقية أحد أعمدة العقيدة الأمنية (الإسرائيلية) (مصباح ٢٠٠٢، ١٦٣).

اما بالنسبة لنظرية الأمن الهجومي لـ (جون ميرشايمر) ترى مدرسة الأمن الهجومي، كما صاغها (جون ميرشايمر)، أن النظام الدولي الفوضوي يدفع الدول للبحث عن القوة لضمان بقائها وتقول النظرية بأن الدول، في غياب السلطة العليا، تتحرك وفق ثلاث فرضيات هي:

أ- الدول تسعى إلى القوة لأنها الوسيلة الوحيدة للبقاء

ب- لا يوجد ضامن للأمن سوى القوة الذاتية.

ت- أفضل وسيلة للأمن هي الهجوم وليس الدفاع لأن المبادرة تمنح الدولة القدرة على تشكيل البيئة الاستراتيجية قبل أن تتشكل ضدها ومنع نشوء تهديدات مستقبلية وهو ما جعل (إسرائيل) تتبنى سياسة "تفكيك الخطر قبل نموّه" (فوزي ٢٠١٤، ٤١) .

أذ أن (إسرائيل) منذ نكبة حزيران ١٩٤٨، تعاملت مع محيطها انطلاقًا من فرضية أساسية: الأمن يتحقق عبر الهيمنة الإقليمية والضربات الوقائية ويتجلى ذلك عبر التدخل العسكري في الدول العربية (لبنان، سوريا، مصر) واستباق تطور القدرات الصاروخية للفصائل تدمير البنى التحتية العسكرية للخصوم قبل نضوجها واستخدام القوة في رسم حدود النفوذ الإقليمي بمعنى آخر، (إسرائيل) ترى نفسها مُجبَرة على الهجوم كي تمنع الآخرين من امتلاك القدرة على تهديدها لاحقاً (خليفة ٢٠١٨، ٤٠).

اما بالنسبة للنظرية الثالثة نظرية الردع الديناميكي (Dynamic Deterrence) فعلى خلاف الردع الكلاسيكي الذي يقوم على مفهوم جامد يعتمد على "معاقبة العدو عند الهجوم"، فإن نظرية الردع الديناميكي، التي طوّرها منظّرون (إسرائيليون)، تُضيف بعداً عملياً جديداً هو أن الردع عملية متغيرة وليست ثابتة فلا يمكن (لإسرائيل) الاعتماد على ردع دائم بل يجب أن يتم تغذية الردع وتحديثه باستمرار وتحقيق الردع يتم عبر العمل لا عبر التهديد فقط ويتضمن ذلك:

أ. ضربات تحذيرية تظهر استعداد إسرائيل لاستخدام القوة.

ب. عمليات استباقية تمنع الخصم من بناء القوة.

ت. اغتيالات نوعية ضد قادة الصف الأول والثاني.

ث. ضرب خطوط الإمداد لمنع تراكم القدرات العسكرية.

كما أن الردع الديناميكي ضرورة لبيئة خصوم اللا–دولة الفصائل المسلحة مثل حركة المقاومة الإسلامية حماس وحزب الله، فالكيان الصهيوني يرى أن الردع الكلاسيكي غير كافٍ لأن هذه الأطراف تمتلك دافعاً أيديولوجياً يجعلها لا تتأثر بالتهديد مجرداً؛ لذلك تبني (إسرائيل) ردعها على التجريب المستمر للقوة، والهدف النهائي هو إبقاء الخصم في حالة لا يقين فكلما شعر الخصم أن (إسرائيل) سترد في أي لحظة وبأسلوب غير متوقع، ارتفعت قدرة الردع وهذا هو جوهر الديناميكية في النموذج "الإسرائيلي" (خليفة ٢٠١٨، ٤١–٤٢) .

وبالنتيجة تعمل هذه النظريات الثلاث كوحدة متماسكة فالضربة الأولى ل (فان افيرا) تؤسس منطق الهجوم الوقائي، والأمن الهجومي لـ (ميرشايمر) يفسر لماذا ترى (إسرائيل) الهجوم كأفضل وسيلة للأمن، والردع الديناميكي يقدّم أدوات عملية لتغذية الردع عبر عمليات متجدّدة وعليه فالعقيدة الأمنية (الإسرائيلية) تقوم على رؤية شديدة الهجومية ترى أن التهديد يجب ضربه قبل أن يتشكل (الضربة الأولى) والهيمنة الإقليمية ضرورة لبقاء الدولة (الأمن الهجومي) والردع يحتاج إلى تغذية مستمرة عبر عمليات استباقية (الردع الديناميكي) هذا التكامل أدى إلى جعل الحرب الوقائية خياراً دائماً في التفكير (الإسرائيلي)، وإلى تحويل الضربة الاستباقية من مجرد أداة عسكرية إلى عقيدة وجودية تُحدّد طبيعة العلاقة بين (إسرائيل) ومحيطها الإقليمي.

المبحث الثالث

التطبيقات العملية "الإسرائيلية" للحرب الاستباقية

يُجسد التطبيق العملي للحرب الاستباقية في العقيدة (الإسرائيلية) انتقال المفهوم من إطار نظري الى ممارسة عسكرية ملموسة تهدف الى اجهاض التهديد قبل تحققه وقد شكلت نكبة حزيران عام ١٩٦٧م، النموذج الكلاسيكي للاستباق العسكري القائم على الضربة الأولى والحسم السريع، وفي المقابل كشفت عملية "طوفان الأقصى" عن حدود فاعلية الاستباق امام فاعلين من غير الدول وقدرات غير متناظرة، اما حرب ال١٢ يوم فقد ابرزت تطور الاستباق ليشمل الضربات الدقيقة والحرب السيبرانية في مواجهة تهديدات إقليمية مركبة، تُظهر هذه النماذج مجتمعة تحول الاستباق من أداة تقليدية الى نهج متعدد الابعاد وهذا ما سنتناوله من خلال التطرق الى النماذج الكلاسيكية والحديثة وكما يلي:

أولا: حرب ١٩٦٧ كنموذج مثالي للحرب الاستباقية

تعدّ نكبة حزيران ١٩٦٧، النموذج الأبرز للعقيدة العسكرية (الإسرائيلية) في الحرب الاستباقية، إذ رأى قادة (إسرائيل) أن الظروف الإقليمية آنذاك تشكّل تهديداً وجودياً يبرر المبادرة بالهجوم قبل تبلور الخطر.

وقد حدد "إيغال آلون" وهو من اهم منظري العقيدة الأمنية (الإسرائيلية) المبكرة أسباب اللجوء للحرب في ستة عوامل رئيسية:

١. تصاعد العمل الفدائي الفلسطيني.
٢. إغلاق مصر لمضيق تيران وسحب قوات الطوارئ الدولية.
٣. الحشد المصري في سيناء واستنفار القوات الجوية والبحرية.
٤. التحالف العسكري المصري–الأردني ودخول قوات عراقية وسعودية إلى الأردن.
٥. الاشتباكات المصرية على حدود غزة.
٦. التخطيط المصري–الأردني لعزل النقب والاستيلاء على إيلات.

وأضاف "إسحق رابين" أسباباً عسكرية–عملية أبرزها:

- عدم قدرة (إسرائيل) على البقاء في حالة استنفار طويل.
- تراجع المعنويات الداخلية.
- التفوق العربي في عدد القوات وإمكانات التسليح المستقبلية.
- جاهزية العرب غير المكتملة، مما يعني أن اللحظة مناسبة للهجوم.
- الحاجة إلى نقل القتال إلى أراضي سيناء وليس داخل (إسرائيل) نفسها.

وخلص القادة (الإسرائيليون) إلى أن الحرب الاستباقية هي الحل الأمثل لإزالة التهديد المباشر وفتح مضيق تيران، إضافة إلى احتلال أراضٍ تمنح عمقاً استراتيجياً للدولة، واستعد سلاح الجو (الإسرائيلي)، للعملية عبر تدريبات مكثفة في صحراء النقب وجمع معلومات استخبارية دقيقة حول الدفاعات العربية (لافي 2018) . وفي صباح الخامس من حزيران ١٩٦٧، نفذ الطيران (الإسرائيلي) هجوماً مفاجئاً منخفض الارتفاع على عشرة مطارات مصرية في الموجة الأولى، ثم هاجم أربعة عشر مطاراً إضافياً في الموجة الثانية، وقد أسفرت الضربة خلال أقل من ثلاث ساعات عن تدمير ٢٩٣ طائرة مصرية من أصل ٥٠٠، بينها كل القاذفات الثقيلة، ثم توسّعت الهجمات لتشمل المطارات الأردنية والسورية وقاعدة H3 غرب العراق، فقدت سوريا ثلثي قوتها الجوية، بينما دُمّر كامل سلاح الجو الأردني تقريباً، في حين خسرت (إسرائيل) ستة واربعون طائرة فقط خلال الحرب، بهذه الضربة حسمت (إسرائيل) الحرب قبل أن تبدأ، إذ حصلت على سيادة جوية كاملة مكّنتها من تدمير ثلثي القوة المدرعة المصرية، ومساندة قواتها البرية في الضفة الغربية والجولان (الشريف ٢٠١١، ٧٧).

كما أسهمت العديد من العوامل في مضاعفة أثر المباغتة ونجاح (إسرائيل) في كسب الحرب من بينها التنظيم العالي للضربة الجوية والصيانة والتموين، الضعف العربي في الجاهزية والإهمال الدفاعي، أضف لها توفر معلومات استخبارية دقيقة لدى (إسرائيل)، عن مواقع المطارات ونقاط الضعف والثقة العربية

المفرطة بقدرات الدفاع الجوي، وايضاً الصدمة النفسية التي أصابت القيادات العسكرية والسياسية بعد الضربة الأولى، كل هذه العوامل أدت الى فقدان الجيوش العربية القدرة على المناورة، وعلى استخدام الأسلحة الحديثة، وانخفضت إرادة القتال بسبب انهيار القيادة والسيطرة، وقد برّرت (إسرائيل) حرب ١٩٦٧ باعتبارها ضرورة وقائية بسبب القدرة العربية المتنامية، المصرية بشكل خاص، مؤشرات التحضير العربي للحرب، الاتفاقيات العسكرية العربية (مصر–الأردن)، وإغلاق مضائق تيران وما رافقه من تصعيد سياسي وإعلامي مصري (لافي ٢٠١٨).

بالنتيجة أثبتت نكبة حزيران ١٩٦٧م، أن الحرب الاستباقية تشكّل ركيزة جوهرية في العقيدة (الإسرائيلية). فقد بنت (إسرائيل) انتصارها على عنصر المفاجأة، والتفوق الجوي، والاستخبارات الدقيقة، مقابل ضعف الاستعداد العربي. ورغم تغيّر البيئة الاستراتيجية المعاصرة، ما تزال دوافع (إسرائيل) لممارسة الحروب الاستباقية قائمة؛ لكن قدرتها على تكرار نموذج ١٩٦٧ تواجه اليوم تحديات أكبر نتيجة تطور قدرات خصومها وتغير طبيعة الصراع وهذا ما سنتطرق له في نموذج "عملية طوفان الأقصى" و "حرب ال١٢ يوماً" مع إيران.

ثانياً: تحولات العقيدة الاستباقية "الإسرائيلية" بين انهيار المبادأة وصعود الردع المتبادل

شكلت كل من حرب ٧ أكتوبر ٢٠٢٣ "طوفان الأقصى" وحرب الـ١٢ يوم مع الجمهورية الإسلامية الإيرانية في نيسان ٢٠٢٤، نموذجين حديثين يعبّران بوضوح عن التحوّلات العميقة في بنية العقيدة الأمنية (الإسرائيلية)، وبخاصة مفهوم الحرب الاستباقية التي شكلت ركيزة مركزية في الاستراتيجية (الإسرائيلية) منذ نكبة حزيران ١٩٦٧، وسنتطرق لهاتين الحربين.

أ- عملية "طوفان الأقصى" – نموذج انهيار القدرة "الإسرائيلية" على الاستباق.

مثل هجوم السابع من أكتوبر نقطة انعطاف غير مسبوقة في التاريخ الأمني (الإسرائيلي)، إذ لم تُفاجأ (إسرائيل) فقط، بل انهارت أساسيات العقيدة الاستباقية التي اعتُمِدت لعقود، وفي مقدمتها فشل الإنذار المبكر أذ تم تجاهل تحذيرات استخبارية قبل الهجوم، خصوصاً من وحدة "محامي الشيطان"، مما كشف ضعفاً بنيوياً في تقدير نوايا العدو، وسقوط وهم الردع فقد اعتمدت (إسرائيل) على فرضية أن حماس مردوعة، ففوجئت بهجوم واسع نفّذته قوة من غير الدول منسقة، مما كشف محدودية الردع (الإسرائيلي)، اضف الى ذلك غياب المبادأة حيث وللمرة الأولى منذ عقود، تحولت (إسرائيل) من موقع الضربة الأولى إلى موقع الضحية الأولى، في انعكاس مباشر لتآكل قدرة الاستباق (باحثين ٢٠٢٣) وأظهر هذا الحدث أن النموذج الذي تأسس في ١٩٦٧ (ضربة استباقية–حسم سريع–سيادة جوية) لم يعد قابلاً للتطبيق في مواجهة فواعل من غير الدول تمتلك قدرات هجومية ذكية ومنخفضة الكلفة.

ب- الحرب مع إيران ٢٠٢٤ – صعود نموذج الردع المتبادل وتقييد القدرة على الاستباق

مثّلت المواجهة القصيرة بين (إسرائيل) وإيران في نيسان ٢٠٢٤ انتقالاً من الحرب الاستباقية إلى الحرب الردعية المحدودة، فقد بدأت المواجهة بهجوم إيراني واسع على (إسرائيل) بسبب قصف القنصلية الإيرانية في دمشق، وردّت (إسرائيل) بضربة دقيقة في اصفهان هذا النموذج يكشف ثلاثة تحولات رئيسية أولها تراجع حرية المبادأة (الإسرائيلية) فالضربة (الإسرائيلية) لم تكن استباقية، بل ردّية ومحسوبة، تراعي القيود الأميركية والإقليمية، مما يعكس تراجع قدرة (إسرائيل) على تنفيذ هجوم مبكر في العمق الإيراني كما تخطط منذ عقود، وثانيهما ظهور ردع متبادل فقد أثبتت إيران قدرتها على توجيه هجوم مباشر، وأثبتت (إسرائيل) قدرتها على الضرب الدقيق، لكن من دون الانزلاق إلى حرب واسعة وهذا يمثّل انتقالاً من عقيدة الهيمنة (الإسرائيلية) إلى توازن ردعي. وثالثهما تغير بيئة الأمن الإقليمي مشاركة دول إقليمية في صد الهجوم الإيراني، واستخدام تقنيات دفاعية متقدمة، جعلت القرار (الإسرائيلي) أكثر تعقيدًا، وأضعف نموذج الضربة الأولى (جميل ٢٠٢٥ ، ١-٤)

وبالنتيجة فان نموذجا "طوفان الأقصى وحرب الـ١٢ يوم" تجمع ثلاث حقائق جديدة في العقيدة (الإسرائيلية) هي: انهيار قدرة الاستباق أمام جهات غير دولانية (طوفان الأقصى)، وتراجع قدرة المبادأة أمام القوى الإقليمية الكبرى. وصعود نموذج الردع المتبادل بدلاً من نموذج "المبادأة الحاسمة" الذي ميّز حرب حزيران ١٩٦٧، وبذلك، يُظهر هذان النموذجان أنّ الحرب الاستباقية لم تعد الخيار المركزي في العقيدة (الإسرائيلية)، بل أصبحت مقيدة بعوامل استخبارية وإقليمية وسياسية جديدة.

الخاتمــة

خلص البحث إلى أن الحرب الاستباقية مثلت الإطار العملي الأكثر تأثيراً في صياغة العقيدة الأمنية (الإسرائيلية) لعقود طويلة، إذ مكنتها من تحقيق تفوق حاسم في نكبة حزيران ١٩٦٧م، ورسخت مبدأ المبادأة بوصفه شرطاً وجودياً للدولة. غير أنّ التحولات العميقة التي شهدتها البيئة الإقليمية وخاصة صعود تنظيمات المقاومة من غير الدول، وتطور القدرات الصاروخية الدقيقة، واتساع المجال السيبراني، وظهور قوى إقليمية قادرة على الرد أضعفت قدرة (إسرائيل) على تطبيق نموذج الضربة الأولى.

وتُظهر دروس "طوفان الأقصى وحرب ١٢ يوماً" مع إيران أن العقيدة الاستباقية تواجه حدودها التاريخية، وأن (إسرائيل) تتحول تدريجياً من نموذج "الحسم عبر المبادأة" إلى نموذج "الردع المتبادل" الذي يُقيد قدرتها على استخدام القوة، ويجعل حسابات الحرب أكثر تعقيداً وكلفة، وعليه فإن مستقبل العقيدة الاستباقية مرهون بمدى قدرة (إسرائيل) على تطوير أدوات استخبارية وتكنولوجية تتناسب مع بيئة التهديدات الجديدة، وعلى إعادة صياغة مفهوم الردع بما يتجاوز منطق القوة التقليدية.

المصادر باللغة العربية:

١. أحمد، محمد حسن. ٢٠٢٢. "الحرب الاستباقية بين الدفاع الشرعي والاعتداء على سيادة الدول ".مجلة كلية الشريعة والقانون، 1.
٢. أحمد، مصطفى خليل. ٢٠١٩. الآثار المترتبة على القوانين الإسرائيلية العنصرية والتمييزية ضد فلسطينيي الداخل ٢٠٠٩–٢٠١٨. جامعة القدس.
٣. إمام ،بن عمار. ٢٠٠٨. الحروب الوقائية في الفكر الاستراتيجي الأمريكي: دراسة حالة العراق .سكرة: الشبكة العالمية.doi: thesis.univ-biskra.dz .
٤. تشومسكي، نعوم. ٢٠٠٤. "الحرب الوقائية أو الجريمة المطلقة في العراق: الغزو الذي سيلازمه العار ".المستقبل العربي.39–36 :
٥. جميل، نور نبيه. ٢٠٢٥. تحولات الردع الإيراني في مواجهة إسرائيل: تحليل استراتيجي لأثر القدرات الصاروخية والمسيّرات في إدارة الصراع منخفض الحدة .مركز حمورابي.
٦. حباس، وليد. ٢٠٢٥. "في الأسس الفلسفية لمفهوم الردع الفاشل في العقيدة الأمنية الإسرائيلية ".مدار.
٧. خليفة، عبدالشافي عبدالدايم. ٢٠١٨. "الحرب الاستباقية على الإرهاب في ضوء القانون الدولي ".مجلة كلية الحقوق، جامعة المنيا.doi: https://share.google/hKSmw8p5SaiDkXx97 .
٨. زحالقة، جمال. ٢٠٢٤. "من الردع إلى المنع الاستباقي: كيف يتحول الأمن القومي الإسرائيلي بعد ٧ أكتوبر؟ " قضايا إسرائيلية، 93.
٩. سويلم، حسام. ٢٠٠٢. "الضربات الوقائية في الاستراتيجية الأمنية الأمريكية الجديدة ".مجلة السياسة الدولية، 293.
١٠. الشريف، ماهر. ٢٠١١. قرن على الصراع العربي–الصهيوني: هل هناك أفق للسلام؟ دمشق: دار المدى.
١١. عودة الله، خالد. ٢٠١٠. العقيدة العسكرية الإسرائيلية .بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
١٢. فوزي، علي. ٢٠١٤. الأمن والعقيدة العسكرية .عمّان: دار مجدلاوي.
١٣. كاطو، عبدالمنعم. ٢٠١٧. "استراتيجية الحرب الوقائية في ظل النظام العالمي الجديد ".مجلة الدفاع المصرية . القاهرة.
١٤. كريشان، فهد خليل. ٢٠١٧. إرهاب الدولة: دراسة في الأفكار والممارسات الصهيونية الإسرائيلية داخل فلسطين خلال الفترة ١٩٤٨–٢٠١٥. جامعة الشرق الأوسط.
١٥. لافي، حسن. ٢٠١٨. "الحرب الاستباقية: حرب ١٩٦٧ نموذجاً ".الحدث، 3. doi: www.alhadath.ps.
١٦. مجموعة باحثين. ٢٠٢٣. عملية طوفان الأقصى: انهيار الاستراتيجية الإسرائيلية تجاه غزة .المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.
١٧. مصباح، زايد عبيدالله. ٢٠٠٢. السياسة الدولية بين النظرية والممارسة .دار الرواد.
١٨. مقلد ، اسماعيل صبري. ١٩٧٩. الاستراتيجية والسياسة الدولية: المفاهيم والحقائق الاساسية . بيروت : مؤسسة الابحاث العربية.
١٩. نجم، ناظم محمد. ٢٠٢٥. توظيف الحرب الخاطفة في الاستراتيجية العسكرية الإسرائيلية .كركوك، العراق: رسالة ماجستير منشورة على الشبكة العالمية.

المصادر باللغة الانكليزية:

1. Niaz A Shah .٢٠٠٧ .Self-Defense, Anticipatory Self-Defense and Preemption: International .*Journal of Conflict and Security Law*.